



جغرافية بلاد المغرب القديم من خلال كتاب الجغرافيا لسترابون

The geography of ancient Maghreb through Strabo's geography book

مرزوق أحمد سايع (*)

المركز الجامعي تيبازة، الجزائر

Sayeh Merzouk Ahmed

saiah.ahmed@cu-tipaza

تاريخ الإيداع: 2022/05/24 تاريخ القبول: 2022/06/23 تاريخ النشر: 2022/12/31

الملخص:

يتساءل الباحثين في التاريخ القديم عامة وتاريخ المغرب القديم خاصة حول جغرافية بلاد المغرب القديم ان كانت هي نفسها التي نعيشها اليوم ولم يحدث تغيير، أم أن مرور القرون أحدث تغييرا على بلاد المغرب من حيث البيئة، المناخ، الغطاء النباتي، الثروة المائية وغيرها من الجوانب الجغرافية الأخرى، وعلى هذا الأساس يرتكز هذا العمل على البحث في جغرافية بلاد المغرب القديم ومقارنتها بالجغرافيا الحالية. لنخلص في النهاية إلى وجود تشابه كبير بين جوانب عدة من جغرافية بلاد المغرب القديم بين اليوم وماكنت عليه منذ قرون غابرة. مع وجود بعض التغيرات الطفيفة نظرا للتغيرات المناخية التي يشهدها كل العالم خلال العقود الأخيرة بسبب التلوث الناتج عن التصنيع.

الكلمات الدالة:

المغرب القديم، الجغرافيا، سترابون، المناخ، الغطاء النباتي، المياه.

(*) المؤلف المرسل: مرزوق أحمد سايع: saiah.ahmed@cu-tipaza



Abstract:

Researchers in ancient history in general and the history of ancient Morocco, in particular, wonder about the geography of the countries of the ancient Maghreb, whether it is the same as the one we live in today and there has been no change, or that the passage of centuries has brought about a change in the countries of the Maghreb in terms of environment, climate, vegetation cover, water wealth and other geographical aspects. On this basis, this work is based on researching the geography of the ancient Maghreb and comparing it with the current geography.

At the end of the article, we conclude that there is a great similarity between several aspects of the geography of the ancient Maghreb between today and what it was in centuries ago, with some slight changes due to the climatic changes that the whole world has witnessed during recent decades due to pollution resulting from industrialization.

Key Words:

Old Maghreb; geography; Strabo; the climate; water.

1. مقدمة:

تعتبر الخصائص الجغرافية أهم عوامل جذب أو طرد للسكان وعليه فتعمير الكرة الأرضية على مر العصور يتوقف عليها، فكلما ازدادت الخصائص الجغرافية زاد السكان وتبوأ المنطقة مكانة سياسية واقتصادية والعكس صحيح، ومنطقة المغرب القديم من أهم مناط العالم القديم لما تتوفر عليه من مؤهلات جغرافية جعلتها تصنف ضمن أولى المناطق التي استوطن بها الانسان. وجعلتها منطقة جذب للسكان بل ومنطقة استيطان حركت أطماع القوى القديمة لاحتلالها على غرار الرومان، ومن هذا المنطلق تتبادر إلى ذهني إشكالية عامة حول ماهية الخصائص الجغرافية والطبيعية لبلاد المغرب القديم من خلال كتاب الجغرافيا لسترابون وهل هي نفسها خصائص وقتنا الحالي أم طراً عليها تغيرات؟ وسنحاول في هذا البحث الاجابة على هذه الإشكالية من خلال استنباط ما كتبه الجرافي سترابون حول المنطقة وباقي الجغرافيين القدامى والمحدثين، وتكمن أهمية البحث في دراسة العلاقة بين الماضي الجغرافي وحاضره لبلاد المغرب القديم، اعتمادا على المنهج الوصفي والتحليلي.

2. الانتماء الجغرافي لمنطقة المغرب القديم:

. الانتماء العام:

1.2

تنتهي البلاد عامة إلى إفريقيا وهي من الفعل فرق بمعنى فصل باللاتينية (*Separavit*)، تحديدا شمال القارة التي اعتبرها البعض قرطاجة فقط بينما يعتبرها البعض الآخر على سائر بلاد المغرب القديم¹، كما تنتمي البلاد إلى البحر الأبيض المتوسط الذي شكل همزة وصل في الفترة القديمة بين قوى العالم القديم، كما ساهم في إذكاء الصراع بينها وخاصة قرطاجة وروما للاستحواذ على خيراته الطبيعية، حيث عمل الرومان خاصة على بسط سيطرتهم الكاملة عليه وسموه لفترة طويلة بحرنا²، وفي هذا يقول سترابون "صحيح يمكننا القول أن كل الخط الساحلي لبحرنا الداخلي (*Mare Nostrum*) من نهر النيل إلى أعمدة هرقل (*colonne d'Hercule*)"³. ومصطلح بحرنا أضحى مذكورا في جل المصادر اللاتينية تعبيرا على السيطرة الرومانية الكاملة عليه بعد احتلال روما لأغلب الجزر والمناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط بما فيها بلاد المغرب القديم.

وهذا البحر الذي ينتمي إليه المغرب القديم شكل ملتقى قارات العالم القديم (إفريقيا، آسيا، أوروبا)، تقدر مساحته الإجمالية بـ 2501452 كيلومتر مربع بدون حساب البحر الأسود، ويبلغ متوسط عمقه حوالي 1536 مترا أما حجم مياهه فتقارب 3842210 كيلومتر مكعب، ويتصل بالمحيط الأطلسي عبر أعمدة هرقل⁴.

والبحر الأبيض المتوسط هو بحر عابر للقارات يمتد على مسافة طويلة وذو مساحة كبيرة وملتقى للطرق البرية والبحرية، يقع فلكيا بين خطي عرض 30° و 46° شمال خط الاستواء وبين خطي طول 5° رب خط غرينتش و 36° شر خط غرينتش، بطول حوالي 2500 ميل (4000 كلم) ومتوسط عرضه حوالي 500 ميل (800 كلم)، وهذا ما جعله حاضنا لمختلف الحضارات الإنسانية على مر العصور⁵، تعدد أسماء هذا البحر قديما فقد سمي بالبحر الداخلي (*mare interum*) وسمي بالبحر الإفريقي (*mare africanum*)، وأطلق عليه كذلك اسم البحر الكبير (*mare magnum*) ونسبه الرومان لأنفسهم وأطلقوا عليه اسم بحرنا (*mare nostrum*)⁶.

2.2. الانتماء الخاص:

تنتهي بلاد المغرب القديم بشكل عام كما سلف ذكره إلى البحر الأبيض المتوسط الذي ينقسم طبيعيا وجغرافيا إلى حوضين أساسيين هما الحوض الشرقي والحوض الغربي⁷، وإلى

هذا الأخير تنتمي المنطقة التي تهدف إلى دراستها والحوض الري بدوره ينسم إلى ثلاثة أحواض ثانوية (أنظر الشكل رقم 01) هي حوض ألبوران شر جبل طار بين سواحل اسبانيا والمغرب الأقصى (موريطانيا قديما)، ويقع إلى الشرق منه الحوض الجزائري الذي يطلق عليه حوض البليار غرب سردينيا وكورسيكا الممتد من سواحل الجزائر (نوميديا قديما) إلى سواحل فرنسا (غاللة قديما)، أما الحوض الثالث فهو الحوض التيراني بين إيطاليا وتونس (قرطاجة قديما) بالإضافة إلى جزيرتي سردينيا وكورسيكا⁸.

الشكل رقم 1: جدول يمثل مورفولوجية الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط

اسم الحوض	المساحة (ألف)	الحجم (ألف)	متوسط العمق (متر)	أقصى عمق (متر)
حوض ألبوران	854.6	1424.2	1667	3719
حوض الجزائر	595.8	1016.9	1707	2887
الحوض التيراني	258.8	407.3	1574	3719

المصدر: Francois ©, op. cit, p 35

ونشير إلى أن مياه الحوض الغربي للمتوسط منذ الفترة القديمة خطيرة للإبحار والملاحة لا سيما خلال الفترة الممتدة من شهر أكتوبر إلى غاية شهر أبريل من كل عام أي الفترة الشتوية، بينما تعتبر الفترة الممتدة من شهر أبريل إلى نهاية شهر سبتمبر الفترة الملائمة للإبحار السفن⁹، وعموما فإن هذا الحوض هو بحر دافئ تصل درجة حرارته خلال فصل الصيف ما بين 26° و 28° مع انخفاض درجات الحرارة خلال فصل الشتاء لكنها تبقى معتدلة مقارنة بباقي مناطق العالم الأخرى. فضلا عن ذلك فانتماء المغرب القديم الى منطقة البحر الأبيض المتوسط وبشكل خاص وقوعه في الحوض الغربي منه جعله يتبوأ مكانة هامة بفضل موقعه الاستراتيجي (أنظر الشكل رقم 02) واطلالته على واجهة بحرية طويلة سمحت بممارسة أنشطة اقتصادية كثيرة، بل وكانت سببا في تحريك أطماع القوى المجاورة للاستحواذ والسيطرة على البلاد وخيراتها خاصة روما خلال القرن الأول قبل الميلاد.

الشكل رقم 02: خريطة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط



المصدر: <https://www.bing.com/images/search>

3. التضاريس:

تمتد بلاد المغرب القديم على مساحة شاسعة تمتد من مصب نهر النيل شرقا إلى أعمدة هرقل غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى قمم جبال الأطلس الصحراوي جنوبا، وهي مساحة تتميز بالتنوع التضاريسي كما ورد في بعض المصادر الجغرافيين القدامى، وبشكل خاص الجغرافي سترابون الذي خصص فصل صغير وهو الفصل الثالث من الكتاب السابع عشر لمصنفه للحديث عن بلاد المغرب القديم.

1.3 الجبال:

شكل المغرب القديم الذي سماه سترابون ليبيا احدى قارات العالم القديم الثلاث (ليبيا، اسيا، أوروبا)، تتنوع فيه التضاريس من جبال وأودية وسهول وصحاري مما يساهم نوعا ما في صعوبة العيش¹⁰، والبلاد عبارة عن شكل هندسي رباعي الأضلاع حده الشمال جبال



الأطلس التلي وحده الجنوبي جبال الأطلس الصحراوي، غربا كتلة الأطلس الأوسط أما شرا فجبال الظهر التونسي وهي الحدود الطبيعية لهذه البلاد التي تنتشر بها سهول متنوعة وخصبة¹¹.

فالسلسلة الجبلية تعبر كل البلاد بها منحدرات وعرة يسكنها في الشمال الموريين بينما الجبال الداخلية فيسكنها الجيتول¹²، وهي جبال حديثة التكوين تشبه سلسلتي جبال الألب والأبنين في أوربا¹³، فالجبال الشمالية للبلاد تتميز بالتواصل مع وجود تقطيع في وسطها الذي يتوفر على الهضاب وباتجاه نحو الداخل نجد جبال تسالا والونشريس، وفي الجنوب تتوزع جبال الأطلس الصحراوي التي تتميز بقلعة الارتفاع والانحدار مقارنة بمثيلاتها الشمالية وهي تفصل الشمال عن الصحراء مع وجود معابر تتخلل هذه السلسلة سهلت الاتصال بين شمال البلاد وجنوبه، كما تعتبر الجبال هي المظهر التضاريسي الغالب على البلاد حيث يبلغ متوسط ارتفاعها 900 متر مع وجود فوارق بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب¹⁴.

2.3. السهول وعلاقتها بالإنتاج الزراعي:

على الرغم من انتشار السلاسل الجبلية بكثرة بمنطقة المغرب القديم إلا أن ذلك لم يمنع من انتشار السهول والتلال بينها، حيث يذكر (حسن الوزان)¹⁵ بأن السهول والتلال تنتشر بشكل لافت بين جبال الأطلس التلي القريبة من الساحل لكنها تتميز بأنها صغيرة وضيقة¹⁶، بينما يصف سترابون هذه السهول في بداية حديثه عن البلاد علة أنها أقل شأنًا من أوربا من حيث خصوبة أراضيها وتنتشر بها الوحوش الشرسة التي تطرد السكان¹⁷، بينما في موضع آخر يعود ليؤكد على أن ما ذكره سابقا كله خرافات وأكاذيب فهذه السهول الساحلية أراضيها خصبة تزودها الأنهار والبحيرات بالمياه العذبة، ولذلك فهي تنتج منتوجات متنوعة وكثيرة ويعبر عن هذه السهول باعتبارها لوحة فنية فيقول: "هذه اللوحات الجميلة لقطعة واحدة دقيقة للغاية في الألوان وبهذه الأبعاد الهائلة والتي تصدر منتجاتها إلى روما وتموتها¹⁸. وهنا إشارة صريحة من سترابون على غنى السهول الساحلية لبلاد المغرب القديم ويعترف ضمنا على تناقضه في ما ذكره في البداية على أن الأراضي قاحلة وأقل شأنًا من أراضي أوربا ثم يذكر بأن البلاد كانت ممونا لأوربا بمعنى أن الأراضي الأوروبية كانت أقل شأنًا من الأراضي المغربية بل أبعد من ذلك فالزراعة ببلاد المغرب القديم كانت أكثر تطورا مما هو عليه في أوربا.

ونظرا لتوفر المغرب القديم على الظروف الطبيعية الملائمة لممارسة الزراعة وبشكل خاص المساحات الواسعة من الأراضي الخصبة فقد شهدت البلاد تحي اكتفاء ذاتي في مختلف



المنتجات الزراعية وعمدت إلى تصدير الفائض¹⁹ ، وهو ما يؤكد بومبيوس ميلا عند حديثه عن البلاد لا سيما الممتدة من وادي ملوية الى وادي أمبساغا، واعتبرها من أجود الأراضي الزراعية لمردودها الجيد وتنوع منتجاتها²⁰.

تميزت البلاد عامة ونوميديا خاصة بضخامة الإنتاج الزراعي وتصدير الفائض باعتراف الرومان أنفسهم، ففي عام 201 ق.م أرسل مجلس الشيوخ الروماني مبعوثين الى ماسينيسا ملك النوميديين محملين بالهدايا طلبا للمساعدة بالمؤونة لتموين حربها في مقدونيا، فمونها ماسينيسا بمائتي ألف (200.000) صاع من القمح ونفس الكمية من الشعير²¹، وفي عام 197 ق.م مون الملك النوميدي مرة أخرى الرومان بالحبوب فأرسل مائتي ألف صاع من القمح لجيوشهم المحاربة في اليونان²²، ومع مرور السنوات تطور الإنتاج بفضل تخصيص مساحات شاسعة لإنتاج الحبوب نتيجة لسياسة استصلاح الأراضي، كما أصبح الإنتاج جزءا أساسيا من العلاقة بين السلطة والشعب وخير مثال على ذلك قيام يوغرطة بداية عام 118 ق.م بتحريض شعبه للكفاح من أجل هذه الأرض الغنية والمنتجة²³.

ويسرد لنا سترابون تفاصيل أخرى عن خصوبة سهول بلاد المغرب القديم وضخامة الإنتاج وتنوعه، منها انتاج البلاد لنوع من الكروم لم يوجد له مثل ببقية العالم القديم يمتاز بكبر حجمه وأن العناقيد التي تعطيها هذه الأرض عظيمة يبلغ طولها ذراع تقريبا، فضلا عن ذلك فجميع الأعشاب طويلة جدا²⁴، وفي موضع آخر يعترف سترابون بتطور وقوة الزراعة ببلاد المغرب القديم مقارنة بمثيلاتها في إيطاليا حيث يذكر وجود مناطق سهلة تتم زراعة أراضيها مرتين في السنة ليحصد بذلك محصولين سنويا أحدهما خلال فصل الصيف والثاني خلال فصل الربيع، ويصف محصول القمح بارتفاعه كثيرا عن سطح الأرض والسنبله كبيرة وممتلئة جدا وتقدم أحيانا السنبله الواحدة مائتين وأربعون حبة من القمح، ويذهب أبعد من ذلك فيذكر أن المناطق التي لا يعاد زراعتها خلال أحد مواسم السنة تنبت تلقائيا بفضل تساقط حبات السنابل خلال موسم الحصاد وتعطي انتاجا لا بأس به²⁵.

وتجد الإشارة إلى أن سكان بلاد المغرب القديم مارسوا الزراعة منذ أزمنة غابرة سبقت وصول الفينيقيين والرومان إلى المنطقة، حيث تزعم بعض النصوص القديمة أنهم عرفوا الزراعة مع احتكاكهم بالفينيقيين والرومان خلال فترة حكم الملك ماسينيسا والواقع أن هذا الأخير قام بتطويرها فعلا لكن وجود الزراعة يعود على الأقل إلى أواخر العصر النيوليتي، ويقول بوليبيوس في ذلك "كانت نوميديا في السابق غير قادرة على انتاج الفاكهة الصالحة للأكل



وماسينيسا هو الأول الذي استطاع أن يخصب الأرض²⁶، والحقيقة تكمن في أن المنطقة عرفت الزراعة وخاصة زراعة الحبوب منذ زمن بعيد اعتمادا على المخلفات الأثرية. وما قام به ماسينيسا وهو تطويرها فقط وهو صاحب الفضل في ذلك²⁷.

4. الأقاليم المناخية:

إن انتماء بلاد المغرب القديم إلى حوض البحر الأبيض المتوسط لاسيما الحوض الغربي منه جعلها تتميز بمناخ يبدو عموما معتدل علما أن المناخ لم يشهد تغيرات كثيرة إذا قارنا بين ما كان عليه قديما والفترة الحالية²⁸، حيث أن تباين التضاريس وموقع البلاد بين البحر شمالا والصحراء جنوبا هي عوامل أدت إلى تباين الأقاليم المناخية أين يمكن تقسيمها إلى إقليمين واضحين هما المناخ البحري أو المتوسطي والمناخ القاري ولكل منها خصائص تختلف عن الآخر كما يقسم كل منها إلى فصول متباينة لاسيما المناخ المتوسطي²⁹.

فالمناخ المتوسطي بشمال المغرب القديم يقسمه حسن الوزان إلى أربعة فصول متباينة هي فصل الشتاء البارد الذي يبتدئ تقريبا من منتصف شهر أكتوبر ويتواصل إلى غاية شهر فيفري، حيث يشتد البرد في شهر جانفي مع بداية تساقط الثلوج ليقل البرد في شهر فيفري مع تقلبات عديدة للجو خلاله ففي اليوم الواحد يتقلب الجو خمسة على ست مرات³⁰، ويعتبر تساقط الأمطار أهم مميزاته الذي شهد اختلافا من منطقة إلى أخرى وهو ما انعكس على المجاري المائية التي نجد بعضها دائم الجريان والبعض الآخر جريانها يتوقف مع بدايات فصل الصيف³¹، ويذكر سترابون أن البلاد كانت تشهد تذبذبا في تساقط الأمطار مما أدى إلى حدوث الجفاف في بعض الأعوام، وهذا الجفاف كان يولد الأوبئة والأمراض ففي مواسم الجفاف تتحول البحيرات إلى مستنقعات التي تجلب أسرابا من الجراد، مع اختلافات بين شرق البلاد وغربها فالشرق رطب مقارنة بالغرب الذي يعتبر أكثر جفافا³².

وفصل الربيع يبتدئ يوم 15 فيفري لينتهي في 18 ماي حيث يبقى الجو صافيا طوال أيام هذا الفصل تقريبا، وعادة ينزل المطر في الفترة ما بين 25 أفريل و05 ماي وإذا لم ينزل في سنة ما خلال هذه الفترة فإن المحاصيل تتضرر ويسمى هذا المطر المهم "بماء نيسان"³³، أما فصل الصيف فيمتد من 18 ماي إلى 16 أوت يتميز أساسا بسماء صافية وندرة التساقط مع اشتداد الحرارة خاصة خلال شهري جوان وجويلية، ويحدث أحيانا نشوء حالة مرضية تتمثل في اشتداد الحمى بين الناس ولا ينجو منها إلا القليل³⁴، وأخيرا فصل الخريف الذي يبتدئ في 17 أوت ويستمر حتى 16 نوفمبر فيبتدئ مع بداياته الحرارة في الانخفاض، وسمى القدامى الفترة ما

بين 15 أوت و15 سبتمبر "بفرن الزمان" لأن التين والرومان والسفرجل تنضج خلالها ويجف فيها العنب³⁵.

وبشكل عام فإن المناخ المتوسطي أو مناخ البحر الأبيض المتوسط يعرف كذلك بالمناخ الإنتقالي أو المناخ شبه المداري الغربي تكثر أمطاره في الشتاء والحرارة معتدلة بينما صيفه حار نسبيا ونادر الأمطار وهو ما يتضح جليا من خلال الجدول التالي:

الشكل رقم 03: متوسط درجات الحرارة والتساقط ببلاد المغرب القديم

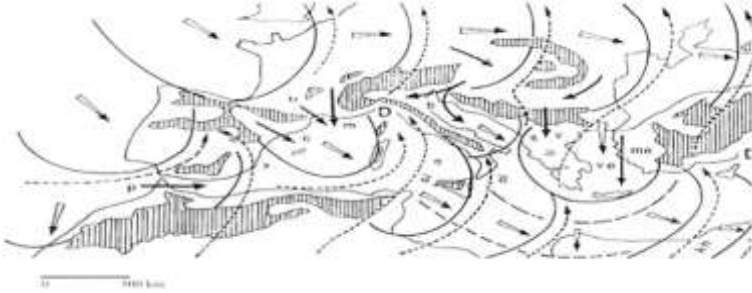
الأشهر	ج	ف	م	أ	م	ج	أ	س	أ	ن	د	
الحرارة °c	11	12	15	17	20	24	26	27	25	21	16	12
التساقط ملم	91	79	72	53	43	16	3	5	37	78	109	121

المراجع: Le Roux, les climats subtropicaux dits méditerranées et les climats de la méditerranée (2^e partie), In : Géographie, volume 66, n° 01, p 43.

ومن خلال الجدول فإن شمال بلاد المغرب القديم تتميز بالدفء حيث تصل درجات حرارته خلال الصيف ما بين 26 و 28 درجة مئوية، بينما التساقط كبير ومتباين بين الشرق والغرب وهو المناخ الملائم والمناسب لمختلف المزروعات وخاصة زراعة الحبوب وكذا أشجار الزيتون التي برع في زراعتها سكان بلاد المغرب القديم.

أما جنوب البلاد ونظرا للبعد عن تيارات البحر الأبيض المتوسط والقرب من الصحراء فالمناخ السائد بها هو المناخ القاري الذي يتميز بالقساوة، فشتاؤه بارد ونادر التساقط بينما صيفه حار جدا وجاف³⁶، خاصة وأن البلاد عامة واقعة في مكان يلتقي فيه المناخ المعتدل شمالا كما أوضحنا سلفا والمناخ القاري جنوبا، وهذا ما يؤدي بالمناخ المتوسطي بالتناقص كلما اتجهنا شرقا وجنوبا، فجبال الجنوب تحجب عن البلاد التيارات الهوائية الحارة والتي تتكدس بجنوب البلاد، بينما جبال الشمال الغربي الواقعة بأوروبا تحجب عنه التيارات الهوائية القطبية الباردة³⁷ (أنظر الشكل رقم 04).

الشكل رقم 04: خريطة السلاسل الجبلية الحاجزة للتيارات الهوائية الشمالية والجنوبية



المراجع: Le Roux, op. cit, p 37.

5. الشبكة الهيدروغرافية:

تتوزع على طول الساحل المغربي القديم أعداد كثيرة من الأنهار والبحيرات تتبع بعضها البعض وأغلبها ينبع من الجبال ويصب في البحر شمالاً³⁸، وقد تميزت مياه العيون والأودية والأنهار بالبرودة خلال الشتاء والصيف على حد سواء، وعليه فقد اختار الانسان المغربي القديم السكن والاستقرار بالقرب منها لا سيما المناطق معتدلة المناخ وابتعدت عن المناطق الباردة والجافة³⁹.

يشير بومبيوس ميلا إلى الانتشار الكبير للأودية بالمنطقة الممتدة من أعمدة هرقل إلى غرب نهر النيل، والتي تتميز أغلبها أساسا بجريانها السنوي وساهمت بدور كبير في ري الأراضي المزروعة أهمها وادي ملوشة (ملوية) ووادي أمبساغا (الوادي الكبير)⁴⁰، خاصة وأن فصل الشتاء فصل ممطر ويكثر تساقط الثلوج التي تكسو الجبال والأشجار وتبقى كذلك حتى بداية الربيع فتبدأ في الذوبان تدريجيا مما ساهم في ضخ المياه إلى الأودية والتي تبقى بدورها دائمة الجريان حتى خلال فصل الصيف⁴¹.

كما تتواجد وراء جبال الأطلس بلاد جافة وحارة مقارنة بما هو عليه في الشمال يوجد بها أودية قليلة تجمع ميهها من جبال الأطلس وتجري مياهها نحو صحراء ليبيا، لتختفي في وسط الرمال بينما تتشكل من بعض الأودية البحيرات لتظهر واحات لزراعة أشجار النخيل⁴²،

إضافة إلى الأودية فقد انتشر ببلاد المغرب القديم نشاط حفر الآبار سواء قبل فترة الاحتلال الروماني أو بعدها، ويتم حفرها لسد النقص الذي يسجل خلال فترات الجفاف أين وجهت مياه الآبار لغرضين أساسيين هما تلبية حاجيات السكان من المورد المائي في المدينة وسقي المنتجات الفلاحية في الريف⁴³، كما تم تشييد أحواض مائية لتجميع مياه الأمطار وهي بمثابة



السدود في أيامنا هذه بحيث يتم إقامتها عند خوانق الأودية عند سفح الجبال، وتم كشف بعض آثارها في تونس والجزائر منها حوض غمراسن وحوض واد درب وغيرها كثير⁴⁴.
ونظرا لعدم استقرار وانتظام التساقط ببلاد المغرب القديم فقد تم انشاء أنظمة ري اصطناعية قبل فترة الاحتلال الروماني وبعدها، وهذا باستغلال مياه الأمطار المتساقطة بجمعها في أحواض على شكل سدود اليوم فضلا على الاستفادة من الينابيع التي كانت منتشرة بكثرة في البلاد وتميزت بجريانها الدائم على طول أيام السنة⁴⁵، ونظرا لعذوبة مياه هذه الينابيع فإن ري المنتجات بها أدى إلى وفرة الإنتاج وجودته حيث تنتج أراضي البلاد نوعا من الكروم كبير جدا وأن العناقيد التي تعطيها بطول ذراع تقريبا، علاوة على ذلك جميع الأعشاب طويلة جدا⁴⁶.

ومن أهم أنهار بلاد المغرب القديم نذكر نهر ملوشا (ملوية) وهو نهر ملاح أو نهر ملاح أي نهر الملح علما أن هذا النهر كانت به قديما معامل تقليدية لتمليح السمك⁴⁷، وهو نهر كبير ينبع من الأطلس ويجتاز السهول الوعرة اليابسة مرورا بسفح جبل بني يزناسن ليصب في النهاية بالبحر الأبيض المتوسط حيث يتوفر على سمك جيد خاصة عند المصب، ومن الأودية الهامة نذكر كذلك نهر التافنة الذي ينبع من جبال الأطلس التلي ويصب في البحر غير بعيد عن تلمسان إلا بخمسة عشر ميلا ولا يوجد به إلا سمك صغير، أما وادي الشلف فهو نهر كبير جدا ينبع من جبال الونشريس ليصب في البحر شمالا ويتم اصطياد عند مصبه كميات كبيرة من الأسماك⁴⁸.

6. الغطاء النباتي والثروة الحيوانية:

1.6 الغطاء النباتي:

يشكل الغطاء النباتي جزء كبير من مساحة البلاد وهو ما شكل لوحات فنية طبيعية جميلة نظرا لخصوبة الأراضي المروية جيدا بمياه الأودية والبحيرات، فالغابات كثيفة للغاية وأشجارها طويلة تصل إلى ارتفاع هائل وهو الوصف الذي يبتدئ به سترابون عند الحديث عن خيرات بلاد المغرب القديم⁴⁹، كما أن ازدهار الزراعي وكثافة الغطاء النباتي خلال الفترة القديمة ببلاد المغرب القديم يعود إلى المناخ الملائم جدا أكثر مما هو عليه اليوم، فضلا على المؤثرات الطبيعية المختلفة فالصحراء جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط شمالا كلها عوامل أدت إلى التنوع النباتي والزراعي⁵⁰.

يشير سترابون إلى كثافة الغطاء النباتي ببلاد المغرب القديم فضلا على طول الأشجار والأعشاب على حد سواء ويصل طول بعض الأعشاب إلى اثني عشر مترا وبقطر عريض جدا⁵¹،



ونظرا لنوعية التربة الجيدة والمناخ الملائم فإن بلاد المغرب القديم تميز بغابات كثيفة ومعتدلة خاصة بالمناطق القريبة من الساحل وتبدأ في التناقص كلما ابتعدنا عن البحر، ولعل أشجار الزيتون هي السمة الغالبة على الغطاء النباتي والتي تنمو في المناطق المرتفعة ما بين 100 و1000 متر عن مستوى سطح البحر، كما نمت أشجار دائمة الاخضرار على غرار أشجار البلوط، الفلين، الصنوبر البحري، العرعار وأشجار الأرز فضلا على الحشائش القصيرة⁵². وتكسو أغلب جبال البلاد غابات كثيفة ذات أشجار ضخمة معظمها مليء بالحيوانات النافعة والضرارة⁵³، ولا يمكن إهمال الأشجار المثمرة التي كان انتشارها ببلاد المغرب القديم كبيرا جدا نظرا لاهتمام السكان القدامى بغراسة الأرض، ونخص بالذكر أشجار الزيتون، الكروم، التين والرمان، كما برع القدامى كذلك بالتوسع في غراسة أشجار أخرى نذكر منها اللوز، الإجاص، السفرجل، الجوز وغيرها من الأشجار الأخرى حسب الحاجة الاقتصادية⁵⁴.

2.6 الثروة الحيوانية:

عرف المغاربة القدامى ممارسة النشاط الفلاحي منذ زمن بعيد أين تعود بداياتها الأولى إلى أواخر العصور الحجرية لتشهد تطورا خلال الفترة القديمة، ونخص بالذكر النشاط الرعوي باستئناس مختلف الحيوانات التي تنتشر بكامل البلاد وهو النشاط الذي تم الاستفادة منه اقتصاديا بدرجة كبيرة⁵⁵، حيث شهدت بلاد المغرب انتشار أنواع عديدة من الحيوانات المتوحشة التي كانت تعيش في البرية منها ما يزال منتشرًا غل يومنا هذا وانقرض منها الكثير، مثل التياتل البيضاء، الطيلاء، بقر الوحش، المها التي تصنع من قرونها جوانب اللورة، الثعالب، الضباع، القنفذ، الكباش البرية، أبناء اوى، النمر الرقطاء، تماسيح البر التي يبلغ طولها ثلاثة أذرع، النعام، الأفاعي الصغيرة، الغزال، الخنازير البرية، الفئران ذات القدمين والفئران الخشنة الشعر وغيرها من الحيوانات المتوحشة التي كانت تنتشر في كامل بلاد المغرب القديم⁵⁶.

وقد تم اصطياد الحيوانات المتوحشة بأعداد كبيرة لغرض التجارة حيث تم تصديرها إلى روما والتي استخدمت في مختلف الألعاب⁵⁷، كما اصطادها سكان البلاد قديما للاستفادة من جلودها كأغطية، حيث تم اصطياد الذئاب والضباع والثعالب لاستخدام جلودها لصناعة الملابس، بينما تم اصطياد الحيات والأفاعي لغرض جلودها واستخراج سمومها⁵⁸، ويقول سترابون في هذا الصدد: "في مثل هذا البلد الصاخب والثري تكثر الثعابين، الفيلة، الغزلان، الخيول وغيرها من الحيوانات المماثلة، فالأسود والفهود تعيش بشكل طبيعي وهناك أيضا وجود أنواع من ابن عرس لها نفس الحجم ونفس الشكل تماما مثل القطط، كما تنتشر

بالبلاد أعداد لا تحصى من القرود وهناك أيضا أنواع فريدة من نوعها⁵⁹، كما تم نقش صورها على عملات الملوك النوميديين على غرار ماسينيسا كرمز للقوة أين استخدم مثلا صورة الفيل والشكل التالي يوضح ذلك بشكل جلي:

الشكل رقم 05: قطعة نقدية للملك ماسينيسا.



المراجع: الجزائر النوميديّة، المتحف العمومي سيرتا، ص 183.

وانتشرت كذلك بالبلاد الحيوانات المستأنسة التي شكلت قطعان الماشية للفلاح النوميدي الذي برع في تربية الماشية التي استخدمها في الحرث والدرس والغذاء وصناعة الجلود، ولعل أبرز الأنواع نذكر الخيول، الأبقار، الأغنام والماعز التي تنتشر بأعداد لا مثيل لها في باقي الأرض⁶⁰، ويعود أصل تربية الماشية ببلاد المغرب القديم إلى بداية العصر الحجري الحديث وهو ما صورته مشاهد الرسوم الصخرية في التاسيلي ناجر والأهقار، وهو النشاط الذي تواصل خلال الفترة القديمة حيث ظهرت صور الحيوانات المستأنسة في تزيين لوحات الفسيفساء ومنقوشة كذلك على أوجه النقود المضروبة باسم الملوك المحليين⁶¹.

7. خاتمة:

ومن خلال معالجتنا لموضوع جغرافية بلاد المغرب القديم من خلال كتاب الجغرافيا لسترابون، أمكننا من الخروج بجملة من الاستنتاجات والحقائق التي نوجز بعضها في النقاط التالية:

1. تميزت بلاد المغرب القديم بفسيفساء من الخصائص الطبيعية بل وكانت من أغنى البلاد قديما وباعتراف المصادر القديمة على غرار سترابون، بوليبيوس، تيتوس ليفيوس وغيرهم كثير رغم أن اعترافهم جاءت ضمنية وجب على القارئ التدقيق حتى يتسنى له الوقوف عليها.



2. الثراء الجغرافي لبلاد المغرب القديم كان يحمل جانبيين جانب نعمة وجانب نقمة، فالأول ساهم بأن تتبوأ المنطقة مكانة اقتصادية هامة بين مناطق العالم القديم، أما الثاني فقد حرك أطماع القوى القديمة في ظل ضعف المنطقة عسكريا في أوقات معينة على غرار تعرضها لعدة احتلالات منها الرومان والوندال وغيرهم، مما يؤكد على فعلا على الثراء رغم محاولة مصادرههم التغطية على ذلك واعتبارها بلادا قاحلة.
3. من خلال هذا العمل تبين لي أن العديد من الخصائص الجغرافية شهدت تغيرا جذريا مقارنة بالفترة الحالية سواء من حيث المناخ، الغطاء النباتي أو الثروة الحيوانية وهذا بفعل الاستغلال الهعجي الذي تعرضت له البلاد من طرف الاحتلالات التي مرت بالبلاد والتي أدى العبث بخيراتها فأدى إلى تغير البيئة العامة.
4. كتاب الجغرافيا لسترابون الذي تناول في الكتاب السابع عشر الجزء الثالث جغرافية ليبيا التي يقصد بها بلاد المغرب القديم يحمل العديد من التناقضات، يحاول في العديد من المواضيع إبراز وجه شاحب لجغرافية البلاد ليعود في مواضع أخرى لتفنيد ذلك بل يعترف ضمنا في عدة مواضع على أن البلاد من أفضل مناطق العالم القديم في العديد من الخصائص الجغرافية والاقتصادية.
5. كانت بلاد المغرب القديم ولا تزال منطقة غنية بالثروات الطبيعية التي لا حصر لها وهو ما تثبتته الكتابات التاريخية والمصادر الأثرية والواقع المعيش اليوم.

8. هوامش: (*)¹

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1983، ص 27.

² محمد إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر 1998، ص 35.

³ Strabon, Géographie, XVII, III, 1, trad. Par Amedé Tardien, éd. Hachette, Paris 1867.

⁴ François ©, La méditerranée, In : Méditerranée, deuxième Série, Tome 31, 4 – 1977, p 52.



⁵ Briney (A), Countries bordering the Méditerranéen sea, In : Thoughtco, May 27, 2018, p 47.

⁶ محمد الصغير غانم، نصوص بونية-ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة – الجزائر 2012، ص 39.

⁷ François ©, op. cit, p 52.

⁸ Briney (A), op. cit, p 48.

⁹ محمد إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص 36.

¹⁰ Strabon, XVII, III, 1

¹¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995، ص 13.

¹² Strabon, XVII, III,

¹³ محمد إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص 38.

¹⁴ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 14.

¹⁵ حسن الوزان: هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي شخصية عربية إسلامية أُلّف في الجرافيا لذا يعتبر مصدر مهم لافريقيا، ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية بالمرب الأقصى حيث تضاربت الآراء حول مولده 901هـ/1495 م أو 906هـ/1500 م ، اعتمد حسن الوزان على الرحلات كمادة أساسية لتأليف كتابه وصف افريقيا، كما له عدة مؤلفات أخرى منها المعجم العربي-العبري اللاتيني، كتاب في التراجم، مختصر تاريخ الإسلام، ويرجح أنه توفي في تونس عام 957 هـ / 1550 م. (الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 14).

¹⁶ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 71.

¹⁷ Strabon, XVII, III, 1.

¹⁸ Strabon, XVII, III, 3-4.

¹⁹ غابريال كامبس، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009، ص 238.

²⁰ Pompilius Mella, Géographie, I, VI, trad. Par Baudet (L), éd. Panckoucke, Paris 1843.

²¹ Tite-Live, Historie Romaine, XXXII, 19, 3-4 trad. Par Danielle De Celerq, éd. Garnier Fflammarion GF 940, Paris 2001.

²² Tite-Live, XXXII, 27, 2.

²³ Msadek (H), Rome et la richesse céréalière de la Numidie sous le règne de Massinissa et de Jugurtha, colloque international "Jugurtha affronte Rome", Annaba 20, 21, 22 Aout 2016, p 2.

²⁴ Strabon, XVII, III, 4.

²⁵ Strabon, XVII, III, 11.

²⁶ Polybe, Histoire Generale, XXXVII, III, trad. Par Félix Bouchot (H), éd. Charpentier, Paris 1847.



- 27 محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013 ص ص 146، 147.
- 28 محمد إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص 36.
- 29 محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص ص 14، 15.
- 30 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 78.
- 31 محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 15.
- 32 Strabon, XVII, III, 10.
- 33 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 79.
- 34 المصدر نفسه، ص 79.
- 35 المصدر نفسه، ص 79.
- 36 محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، ص 14.
- 37 François (C), la Méditerranée, In : Méditerranée, deuxième serie, tome 31, 4-1977, p 54.
- 38 Strabon, XVII, III, 9.
- 39 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 72.
- 40 Pompius Mella, Géographie, I, VI, trad. Par Baudet (L), éd. Panckouke, Paris 1843.
- 41 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 75.
- 42 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 75.
- 43 محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2003، ص 107.
- 44 المرجع نفسه، ص 108.
- 45 المرجع نفسه، ص 107.
- 46 Strabon, XVII, III, 4.
- 47 إبراهيم العيد بشي، الأحوال الاقتصادية العامة لبلاد المغرب القديم في كل من نوميديا الشرقية والغربية، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية تكريما للأستاذ الدكتور محمد البشير شنيبي والأستاذ الدكتور محمد خير أورفة لي، إعداد بلقاسم رحمان، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2016، ص 170.
- 48 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 250، 251.
- 49 Strabon, XVII, III, 4.
- 50 Robert Jean Babiste, A propos de l'évolution du climat en Afrique du Nord depuis le début de la période historique, In : Revue de géographie jointe au Bulletin de la société de géographie de Lyon, vol. 25, n° 01, 1950, p 53, 54.
- 51 Strabon, XVII, III, 4.



- ⁵² موسى هواري، بلدان المغرب العربي دراسة جغرافية، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد الأول، العدد الثالث، جوان 2021، ص ص 13-15
- ⁵³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 72.
- ⁵⁴ أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، ص 326.
- ⁵⁵ إبراهيم العيد بشي، المرجع السابق، ص 166.
- ⁵⁶ علي فهد خشيم، نصوص ليبية من هيرودوتس - سترابو - بلييني الكبير، دار مكتبة الفكر، ط3، طرابلس 2006، ص ص 65، 66.
- ⁵⁷ محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، دار هومه، الجزائر 1996، ص 155.
- ⁵⁸ إبراهيم العيد بشي، المرجع السابق، ص 169.
- ⁵⁹ Strabon, XVII, III, 4.
- ⁶⁰ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا ، ص ص 153، 154.
- ⁶¹ إبراهيم العيد بشي، المرجع السابق، ص ص 170، 171.